

وإذن إسلامهم المتعدد والمفترق بعضه عن بعض حينئذ هو بمثابة تعدد الكنيسة في المسيحية لأنه لا جامعة تجمعهم باسم الإسلام إلا الاعتقاد بوحدة الله وبشخص محمد. وعن هذا التعدد في التطبيق العملي إذا تحدث فريق من البلاد الإسلامية – كما يتحدث العرب مثلاً عن القومية العربية في نطاق البلاد الإسلامية كلها – فهو حديث عن أمل، سيظل أيضاً أملاً دون أن يقع.

وإذن: فالسعي نحو وحدة إسلامية أو تكتل إسلامي، أو السعي نحو قومية معينة داخل إطار البلاد الإسلامية – هو سعي في غير طائل.

ومما يؤسف له أنني سمعت هذه النتائج بعينها في ندوة سياسية بشر بها ممثل لدولة قامت حديثاً تحت ضغط ظروف معينة في الشرق العربي. وكان المتحدث هو قنصل هذه الدولة، وكان مكان الندوة هو اتحاد الطلاب بجامعة ما كجيل بمونتريال.

ولو أن الأستاذ Grunebaum أراد أن يتخذ من طواهر الجماعة الغربية في تطورها طواهر لقانون عام يطبق على الجماعات البشرية كلها بدون استثناء – لترقبنا في الشرق الإسلامي أن تعقب الحركة العلمية فيه، أو أن تصحبها، ظاهرة الإلحاد واللا دينية كما هي نتائج التفكير العلمي الذي ساد أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فاللا دينية أو الإلحاد الآن في الحضارة الغربية قوة وسياسة وعقيدة تنافس ما بقي من مظهر الإيمان المسيحي فيها. وإذن قيام باكستان كدولة على أساس الإسلام هو ضد القانون التاريخي الذي لا تشذ عنه جماعة إنسانية.

هذا هو منطق هذه الكلمة.

وثانياً: بينما استصحب معه طواهر التطور في الجماعة الغربية في صلتها بالدين المسيحي أغفل ما في الجماعة الشرقية الإسلامية من عوامل أخرى، عوامل لو روعيت في الحكم عليها لتغير الأمر في أن تبقى الوحدة الإسلامية في حدود الأمل والخيال، وفي بقاء الإسلام كتصورات ذهنية فحسب.